مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1 المجلد (22)، العدد (02)، (ديسمبر، 2021م)، ص 91 - 102
ISSN 1111-5149 / E.ISSN 2430-2588

الفقيه عبد اللّه بن ياسين الجزولي ودولة المرابطين

Faqih Abdullah Bin Yassin al-Jazuli and the State of the Almoravids

خالد حموم*،جامعة محمَّد لمين دباغين (سطيف 2)، k.hammoum@univ-setif.dz

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
2020-03-24	2021-10-31

ملخَّص

يعد الفقيه عبد اللّه بن ياسين الجزولي أبرز شخصية في قبائل صنهاجة الجنوب مع بداية القرن 5هـ، فقد تمكن بفضل قدراته العلمية وحكمته السِّياسية من تحويل الرِّباط من مكان للتعلم والتعبد إلى مكان لإعداد أتباع مخلصين يحملون لواء الجهاد لنشر الإسلام. وقبل استشهاده سنة 451هـ/1059م أخضع قبائل صنهاجة لسلطته، واستولى على مدن كثيرة في المغرب، وتمكن من وضع الأسس الأولى لقيام دولة المرابطين.

ويهدف هذا البحث للتَّعريف بشخصية ابن ياسين، وكيفية تأسيسه لدولة المرابطين، ويعالج الإشكالية الآتية: كيف ساهم ابن ياسين في تأسيس دولة المرابطين؟

الكلمات المفتاحية: يحي بن إبراهيم الجدالي؛ عبد اللّه بن ياسين الجزولي؛ صنهاجة؛ المرابطون؛ المغرب.

Abstract

Faqih Abdullah bin Yassin al-Jazouli is the most prominent figure in the tribes of Sunhajah Southern in the beginning of the 5th century AH (Hijri). Thanks to his scientific abilities and his political wisdom, he managed to transform the Rabat from a place of learning and worship to a place to prepare loyal followers who carry the banner of jihad to spread Islamic. Before his martyrdom in 451 AH/1059 AD, he subjected the Sanhaja tribes to his authority and seized many cities in Maghreb. He was also to lay the first foundations for the establishment of the Almoravid state. This research aims to introduce the personality of the bin Yassin, and how he established the Almoravid state. It addresses the following research question: How did Ibn Yassin contribute to the establishment of the Almoravid state

Keywords : Yahya bin Ibrahim al-Jadali ; Abdullah bin Yassin al-Jazouli ; Sunhajah ; Almoravids ; Maghreb

* المؤلف المرسل

مقدمة

رسالة الفقيه أبي عمران الفاسي إلى تلميذه في نفيس وجاج بن زلو اللَّمطي والتي حملها زعيم قبيلة صنهاجة الصحراء يحي بن إبراهيم الجدالي، كانت نقطة تحول في تاريخ قبائل صنهاجة الصحراء؛ إذ كانت هذه الرِّسالة سببًا في اختيار الفقيه عبد اللّه بن ياسين الجزولي لمرافقة يحي بن إبراهيم الجدالي إلى بلاده لتعليم أهلها تعاليم الدِّين الإسلامي.

وأحاول من خلال هذا البحث تسليط الضوء على رحلة الفقيه عبد اللّه بن ياسين إلى مضارب قبائل صنهاجة الصحراء، وتتبع جميع الأعمال الإصلاحية والتربوية التي قام بها قبل وبعد بنائه للرباط، كما أسلط الضوء أيضًا على الحروب التي خاضها لأجل إخضاع قبائل المغرب الأقصى لسلطة المرابطين، وكذلك نشر الدِّين الإسلامي في بلاد السودان الغربي.

إشكالية الدراسة

كيف ساهمت هذه الأعمال الإصلاحية والحروب التي خاضها الفقيه عبد اللّه بن ياسين الجزولي في تأسيس دولة المرابطين؟ أو بعبارة أخرى ما مدى مساهمة الفقيه عبد اللّه بن ياسين في تأسيس وقيام دولة المرابطين؟

وقد طرحت من أجل الإجابة عن هذه الإشكاليَّة العديد من التَّساؤلات:

- من هو عبد اللّه بن ياسين؟
- كيف كانت ظروف رحلته إلى مضارب قبائل صنهاجة الجنوب؟
- كيف كان رد فعل الصَّنهاجيِّين بمقدمه إلى بلادهم؟
- ما هي الصعوبات التي واجهها خلال رحلته الإصلاحية؟
- ما هي النتائج التي تمخضت عن هذه الرحلة؟

فرضية الدراسة

تنطلق فرضية الدراسة من التأكيد على ذلك الارتباط القائم بين الفقيه عبد اللّه بن ياسين الجزولي وتأسيس دولة المرابطين في بلاد المغرب الإسلامي مع بداية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي).

الدِّراسات السابقة

تناول معظمها بالدراسة دولة المرابطين ككل، وركزت جل الدِّراسات على أشهر شخصيتين لدى المرابطين و هو يوسف بن تاشفين و ولده علي، و لم تفرد الفقيه عبد اللّه بن ياسين الجزولي بدراسة منفردة، ونذكر على سبيل المثال كتاب: المرابطون اللمتونيون بين القرنين الخامس والسادس للهجرة أصلهم، نشأتهم، دولتهم، أخبارهم للباحث ملحس ثريا عبد الفتاح، المُرابطون تاريخهم السياسي (430- 529)هـ للباحث شعيرة محمد عبد الهادي، دولة

المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين للباحث سعدون عباس نصر اللّه، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين للباحث الهرفي سلامة محمَّد سلمان وغيرها. و وجدت كتيبًا واحدًا صغير الحجم أفرد ابن ياسين بدراسة منفردة، و لكنه لم يعتمد على المصادر الأساسية الخاصة بالمرابطين، كما أنَّه موجه للنشء و لم يكن أكاديميًا في طرحه للموضوع، و هذا الكُتيب للباحث كنون عبد اللّه بعنوان: مشاهير رجال المغاربة، عبد اللّه بن ياسين مؤسس دولة المرابطين.

المنهج المتبع

استعنت بمجموعة من المناهج لدراسة موضوع الورقة البحثية، أهمها المنهج السردي، حيث قمت بسرد الأحداث التَّاريخية المتعلقة بشخصية الفقيه عبد اللّه بن ياسين ودولة المرابطين، وكانت عملية السرد اعتماداً على المصادر وهو منهج لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابات التَّاريخيَّة، كما استخدمت المنهج التَّحليلي و النَّقدي لإظهار ما أمكن إظهاره من الحقائق و الجوانب الخفيَّة، و كثَّفت من الاستشهاد بالنُّصوص في المتن و الهامش إمَّا دعمًا لرأي أو مُساندة لاستنتاج.

و سيتم تناول هذا البحث و دراسة شخصية الفقيه عبد اللّه بن ياسين الجزولي من خلال العناصر الآتية:

- ميلاده ونشأته وطلبه للعلم
- رحلته إلى مضارب قبائل صنهاجة الجنوب
- تأسيسه للرباط وشروعه في الجهاد
- استشهاده

1- ميلاده و نشأته و طلبه للعلم

ولد عبد اللّه الجزولي من أب صنهاجي يُدعى ياسين بن مكوك بن سير علي (حسن أحمد محمود، د.ت، ص114) و اسم أمه تين يزامارن من أهل جزولة، من قرية تسمى تماماناوت في طرف صحراء مدينة غانة، في غرب إفريقيا على تخوم بلاد السودان الغربي (البكري، 1992، ص859).

و يرجح الباحث حسن أحمد محمود أنَّ ابن ياسين ينحدر من القبائل الملثمة التي تضرب في تلك النواحي من بلاد السودان الغربي، و يعتقد أنَّه ينتسب لقبيلة جدالة التي تقع مضاربها قرب منطقة السنغال، وقد حرَّف الرواة اسم الجدالي فأصبح الجزولي وهذا بسبب خطإ في النسخ أو عدم التحقيق. و يرى أنَّ رأيه هذا أقرب إلى الحقيقة، لأنَّه يفسر لنا لماذا أقبل عبد اللّه بن ياسين على التطوع للذهاب دون تردد مع يحي بن إبراهيم الجدالي إلى مضارب قبائل صنهاجة الصحراء في تخوم بلاد السودان الغربي، إذ أنَّه يكون أعرف النَّاس بأحوال قومه هناك، و أكثرهم

إطلاعًا على مواطن الضعف فيهم، و أقدرهم على رأب الصدع و تقويم المعوج (حسن أحمد محمود، د.ت، ص114-115).

لم تذكر كتب التَّاريخ شيئًا عن طفولته، وتاريخ ولادته؛ إذ اكتفت بذكر تحصيله للعلم عند فقيه السُّوس وجاج بن زلو اللَّمطي (مجهول، الحُلل الموشية، 1979، ص20) الذي أنشأ في مدينة نفيس في السوس الأقصى رباطًا للتعبد وتلقين العلوم لمريديه (ابن أبي زرع، 1972، ص123).

ثمَّ ذكرت المصادر التَّاريخيَّة بأنَّه رحل إلى بلاد الأندلس عهد ملوك الطَّوائف، فأقام بها سبع سنين، وحصل فيها على علوم كثيرة فأصبح بذلك فقيهًا في أمور الدِّين والدنيا (ابن عذارى، 1998، ص10).

وكان من حذاق الطلبة الأذكياء النبهاء النبلاء، من أهل الدِّين والفضل والتقى والورع والفقه والأدب والسِّياسة، مشاركًا في العلوم (ابن أبي زرع، 1972، ص123)، كما كان ابن ياسين مجاهدًا مرابطًا و ورعًا زاهدًا صوامًا قوامًا (ابن أبي زرع، 1972، ص124).

ومهما يكن من أمر، فقد أجمع الرواة على قِلتهم، أنَّ عبد اللّه بن ياسين كان من الفقهاء النابهين، وكان شهمًا قوي النفس حازمًا ذا رأي وخير وتدبير حسن (حسن أحمد محمود، د.ت، ص116-117).

2- رحلته إلى مضارب قبائل صنهاجة الجنوب

حينما عاد يحي بن إبراهيم الجدالي من رحلته لأداء فريضة الحج سنة 427هـ/1035م (ابن أبي زرع، 1972، ص122) لقي شيخ المذهب المالكي بالقيروان أبا عمران الفاسي، فأخذ منه العلم و طلب منه أن يرسل إلى قومه تلميذًا يعلمهم تعاليم الدِّين الإسلامي (القاضي عياض، د.ت، ص 781) (ابن الأثير، 1982، ص618) فجمع الشَّيخ تلاميذه وعرض عليهم الذهاب مع يحي بن إبراهيم الجدالي إلى مضارب قبائل صنهاجة الجنوب، فلم يقبل أحد منهم الأمر لبُعد الدار ومشقة السفر والانقطاع عن الأهل في الصحراء (ابن أبي زرع، 1972، ص122) (حسن أحمد محمود، د.ت، ص111-112) فأعطاه لأجل تحقيق غايته رسالة يحملها إلى تلميذ له بمدينة نفيس هو وجاج بن زلو اللَّمطي، فاختار له وجاج تلميذًا صالحًا من تلاميذه هو عبد اللّه بن ياسين الجزولي (ابن أبي زرع، 1972، ص122-123).

دخل عبد اللّه بن ياسين الصحراء صحبة أمير جدالة يحي بن إبراهيم، وكانت لمتونة أول القبائل التي استقرا بها، فلما وصلا نزل يحي بن إبراهيم عن راحلته، وأخذ بزمام البعير الذي كان يركبه عبد اللّه تعظيمًا له (الذهبي، 1986، ص426). وكان يُعرِّفه للنَّاس قائلًا لهم "هذا حامل سنة رسول اللّه"، وقد تلقاهما النَّاس بالإكرام وفرحوا بقدومهما غاية الفرح (ابن أبي زرع، 1972، ص123-124).

هذا ما شجع ابن ياسين على الإقبال على تعليم النَّاس القرآن والسنة النبوية (أبو عمران الشَّيخ وآخرون، 1995، ص557) خاصةً بعد أن وجد أكثر الملثمين لا يُصلون ولا يعرفون من الإسلام إلَّا اسمه (الصلابي، 2001، ص22) ووجدهم قد انحرفوا عن معالم العقيدة الصَّحيحة، وتلوثت أخلاقهم وأحكام دينهم. ولأجل ذلك لقي عبد اللّه صعوبات كبيرة في إقناع النَّاس واصطدمت تعاليمه بمصالح الأمراء والأشراف، فثاروا عليه وكادوا يقتلونه (البكري، 1992، ص859-860).

فعزم ابن ياسين على ترك قبيلة لمتونة والعودة من حيث أتى، لو لا أنَّ يحي بن إبراهيم ألَّح عليه وطلب منه أن يُصاحبه إلى الجنوب نحو قبيلة جدالة قائلًا له: "أني لأتركك تنصرف وإنَّما أتيت بك لأنتفع بعلمك في خاصة نفسي وديني، وما عليَّ فيمن ضلَّ من قومي" (ابن أبي زرع، 1972، ص124) (سعدون عباس نصر اللّه، 1985، ص23). وقد قام بهذا العمل علَّه يجد في قومه قبيلة جدالة، المعونة والتأيِّيد لتحقيق غايته في إبقاء ابن ياسين بجواره.

3- تأسيسه للرباط وشروعه في الجهاد

قرَّر الفقيه عبد اللّه بن ياسين أن يرحل إلى قبيلة جدالة مع الأمير يحي بن إبراهيم الذي أصبح أكبر تلاميذه (بوعزيز، 2007، ص176) (شاكر، 1991، ص236) و عزم على الانقطاع للعبادة في الأماكن النائية (بوعزيز، 2007، ص176) و ذلك عن طريق إنشاء رباط متبعًا في ذلك سُنة معلمه وجاج بن زلو اللَّمطي مؤسِّس رباط نفيس، وممتثلًا لقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللّه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (سورة آل عمران، الآية 200) ولقوله صلَّى عليه وسلم ((رِبَاط يَوْمٍ في سَبِيلِ اللّهِ خَيرٌ من الدُّنيا ومَا عَلَيْهَا، ومَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ منْ الجَنَّةِ خَيرٌ من الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، والرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ في سَبِيلِ اللّهِ أو الغُدْوَةُ خَيرٌ من الدُّنيا وما عَلَيْهَا)) (البخاري، د. ت، ص43). وقد اعتبر الأستاذ حسن أحمد محمود أنَّه إثر إنشاء الرِّباط بدأ الدور الإيجابي لدعوة الفقيه عبد اللّه بن ياسين (حسن أحمد محمود، د.ت، ص123) حيث كان لهذا الرَّباط الذي أنشأه في إحدى جُزر مصب نهر السنغال (ابن خلدون، 1971م، ص183) (الناني ولد الحسين، 2007، ص229 وما بعدها) الفضل في نجاح دعوته، واستمرار قيامها رغم وفاته في إحدى المعارك بعد ذلك بيسير.

وقد رافقه في رحلته التَّعبديَّة هذه الأمير يحي بن إبراهيم، وسبعة رجال من قبيلة جدالة، ويحي بن عمر، وأخوه أبو بكر بن عمر اللَّمتونيين اللَّذين سيكون لهما دور كبير في بناء صرح دولة المرابطين (ابن خلدون، 1971، ص183).

ومكثوا في هذه الجزيرة، يُعلِّمهم ابن ياسين العقائد الصَّحيحة (بلغيث، 1989، ص50) ويُقرئهم القرآن ويستميلهم إلى الخير ويُرغبهم في ثواب اللّه، ويُحذرهم ألم عِقابه، حتَّى تمكن حُبه من قلوبهم (الجراري، 1936، ص14) (حمدي عبد المنعم، 2008، ص40) وغَدَا في نظرهم في مرتبة الأولياء الصالحين (الغنيمي، 1994، ص121) (Gaid, p14) .

ولم يلبث أن تسامع النَّاس بأخبار هؤلاء المرابطين، فكثر القادمون عليهم (حركات، 1984، ص159) حتَّى بلغ عددهم نحو ألف رجل من أشراف صنهاجة (شبلي، 1969، ص181) واستمر ابن ياسين في تهيئتهم روحيًا، خلقيًا، اجتماعيًا، سياسيًا وعسكريًا، وأخلص له هؤلاء الرِّجال وأطاعوه طاعة عمياء (عبد العزيز سالم، 1981، ص695).

وكان يحي بن عمر اللَّمتوني أشدَّ النَّاس طاعةً وانقياداً له (البكري، 1992، ص861) (ابن الخطيب، 1964، ص228) فدعاهم إلى قتال من خالفهم من قبائل صنهاجة (ابن أبي زرع، 1972، ص125) وبهذا تبدأ مرحلة جديدة في دعوة الفقيه عبد اللّه، وهي مرحلة الغزو والفتح في قبائل صنهاجة وبلاد السودان الغربي.

تمكن الفقيه عبد اللّه بن ياسين من إعداد أتباع مخلصين له، ولمَّا رأى أنَّهم أصبحوا يُشكلون قوةً لا يستهان بها ندبهم إلى الجهاد، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل إنقاذ بلاد المغرب الأقصى من التجزئة والتفرقة. فخاطبهم قائلًا: "يا معشر المرابطين إنَّكم جمعٌ كثيرٌ، وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم، وقد أصلحكم اللّه تعالى وهداكم إلى صراطه المستقيم، فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم وتأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر، وتجاهدوا في سبيل اللّه حق جهاده". فاستجاب القوم لندائه حيث قالوا له: "أيها الشَّيخ المبارك مُرنا بما شئت تجدنا سامعين مُطيعين ولو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا" (ابن أبي زرع، 1972، ص125).

فسمح لهم ابن ياسين بالخروج بعد أن ينذروا قومهم وعشيرتهم سبعة أيام (ابن الخطيب، 1964م، ص228) وقال لهم "اخرجوا على بركة اللّه، وانذروا قومكم وخوفوهم عقاب اللّه، وأبلغوهم حجته، فإن تابوا ورجعوا إلى الحق وأقلعوا عما هم عليه فخلوا سبيلهم، وإن أبوا من ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم استعنا باللّه تعالى عليهم، وجاهدناهم حتَّى يحكم اللّه بيننا وهو خير الحاكمين". (ابن أبي زرع، 1972، ص125).

وعندما رفض القوم إجابة هؤلاء المرابطين، شرع في الغزو بنحو ألف رجل (ابن خلدون، 1971، ص183) على قبائل صنهاجة، مبتدئًا بقبيلة جدالة التي تآمرت عليه إثر تولية يحي بن عمر اللَّمتوني كأمير على المرابطين مكان يحي بن إبراهيم الجدالي (العبادي، د.ت، ص483) فأوقع فيهم الهزيمة بعد أن قتل منهم ستة آلاف رجل وأسلم من بقي منهم إسلامًا صحيحًا (ابن الخطيب، 1964، ص228).

ثمَّ غزا لمتونة التي جنحت للسلم ودخلت في طاعة ابن ياسين ثمَّ توجه بعد ذلك إلى قبائل مسوفة، ولمطة وسائر قبائل صنهاجة فغزاهم حتى أذعن الجميع، واستقامت السُبل وقُرئ القرآن وأديت الزكاة وأقيمت الصلاة (ابن الخطيب، 1964، ص228) واستقاموا على الإسلام الصحيح (عبد العزيز سالم، 1981، ص696).

وفي عام 444هـ/1045م بعث فقهاء درعة و سجلماسة بكتبهم إلى الفقيه عبد اللّه ابن ياسين و الأمير يحي بن عمر اللَّمتوني (ابن خلدون، 1971، ص183) يشكون ممَّا يقع في بلادهم

من ضروب الظلم والخروج عن أحكام الدِّين ويطلبون منهما القدوم لإشاعة العدل، ولوضع حد لمظالم بني وانودين (حسن علي حسن، 1980، ص23) فخرج الجيش المرابطي بقيادة ابن ياسين سنة 445هـ/1053م إلى مدينة درعة التي استولوا عليها، ثمَّ اتجهوا نحو مدينة سجلماسة بعد أن خاطبوا أهلها ورئيسهم، فلم يُجيبوهم إلى ما أرادوا فغزوهم في جيش عُدته ثلاثون ألف جمل (البكري، 1992، ص861) فقتلوا أميرها مسعود بن وانودين، واستولوا على مدينة سجلماسة فاستأصلوا معالم الفساد واللَّهو فيها، وأسقطوا المكوس والمغارم عن أهلها، وكان ذلك بداية الفتح المرابطي للمغرب الأقصى (ابن كثير، 2006، ص802).

وقد عبَّد الاستيلاء على مدينتي درعة وسجلماسة الطريق لجموع المرابطين للاتجاه نحو الجنوب لمحاولة فتح مدينة أودغست في حدود سنة 446هـ/1054م (البكري، 1992، ص862) والتي كانت خاضعة لمملكة غانة، فاستولوا عليها وهكذا ارتبطت غانة برباط الإسلام، وأصبحت طرق التجارة التي تربط بين المغرب وبلاد السودان الغربي تحت نفوذ المرابطين(و.يوفيل، 1978، ص69).

استطاع ابن ياسين في هذه الفترة أن يضع ثلاث لبنات في صرح دعوة المرابطين؛ إذ أخضع غانة، وقهر جدالة، واستمال لمتونة (حسن أحمد محمود، د.ت، ص152).

ورغم وفاة الأمير يحي بن عمر سنة 448هـ/1056م، إلَّا أنَّ عزيمة الفقيه عبد اللّه بن ياسين في مواصلة غزواته لم تتوقف، حيث قام بتعيين أبي بكر بن عمر اللَّمتوني أميراً على المرابطين، وقلَّده أمر الحرب بعد أن أخذ له البيعة من شيوخ القبائل (الحُلل الموشيَّة، 1979، ص23) (ابن خلدون، 1971، ص182) وعزم على فتح بلاد السُّوس الأقصى، وتقوى مركزه بعد انضمام جيوش جزولة ولمطة إلى معسكره فقاتل المرابطون الشيعة الرافضة في تارودانت، وتمكنوا من فتحها وفتح مدينة ماسة (ابن أبي زرع، 1972، ص129).

وبذلك استولوا على السُّوس بأسره سنة 448هـ/1056م (الجراري، 1936، ص21-22) (عبد العزيز سالم، 1981، ص697) وأرغم ابن ياسين أهل السُّوس على العودة إلى أحوال الدِّين الإسلامي الصَّحيحة بعد أن عيّن عمَّالًا مرابطين على مُدنه وأقاليمه وأمرهم أن يطبقوا أحكام الإسلام بدقَّة (بوعزيز، 2007م، ص178).

ثمَّ ارتحل إلى بلاد المصامدة ففتح جبل درن ومدينة نفيس، واستولى على بلاد جدميوة، وامتدَّ نفوذه إلى واد درعة وبلاد رجراجة (عبد العزيز سالم، 1981، ص697) وبعد ذلك ولى المرابطون وجوههم شطر الجنوب الشرقي نحو مدينة أغمات، واستولوا عليها سنة 449هـ/1057م (البكري، 1992، ص863) وبها يومئذ أميرها لقوط بن يوسف المغراوي الذي فرَّ إلى مدينة تادلا، فقصدها جيش المرابطين وفتحها، وظفر بلقوط المغراوي وقتلوه، واستولى بذلك المرابطين على أغمات، وبلاد السُّوس وأعمالها (ابن خلدون، 1971، ص183) (السَّملالي، 2002، ص197).

4 – استشهاده

تطلع ابن ياسين بعد ذلك لفتح مدينة تامسنا أين توجد قبائل برغواطة، حيث رأى أنَّه من الواجب تقديم جهاد قبائل برغواطة أهل الضلالة والكفر على غيرهم، وقبل قتالهم خطب فيهم خطبةً يحثهم فيها على ترك الفتنة والقبول بسلطة المرابطين عليهم قائلًا "ألا تعرفون أنَّه من مات منكم في هذه الحروب الجاهلية فإنَّه من أهل النار، اتقوا اللّه وارتدعوا عما أنتم عليه من فتنتكم وقدموا على أنفسكم من يؤلفكم، فقالوا له ما هو فينا .... ولا في قبائلنا إلَّا كل قبيلة منا ترى أن يكون الأمير منها فقال لهم "إن أنتم سمعتم مني أدلكم على رأي صالح يصلح به أحوالكم، هذا أمير لمتونة الصحراء أبي بكر بن عمر أهل الزهد والورع فأنعموا له". (ابن عذارى، 1998م، ص15).

وحينما رفضوا الاستجابة لمطالبه هذه، سار بقواته رفقة الأمير أبي بكر بن عمر إلى إقليم تامسنا وصمَّم على الفتك بهم والقضاء عليهم (بوعزيز، 2007، ص179) فاشتعلت الحرب بين الفريقين هلك فيها ما لا يُحصى من الخلق، وفي ميدانها أصيب عبد اللّه بن ياسين بجروح، توفي متأثرًا بها يوم الأحد 24 جمادى الأولى سنة 451هـ/1059م (ابن عذارى، 1998، ص16) (ابن الخطيب، 1964، ص230) ودفن بموضع يطل على واد كريفلة (الجراري، 1936، ص25) على مقربة من مدينة الرِّباط، وبُني على قبره مسجد لا يزال حتى الآن (حسن إبراهيم حسن، 1996، ص275).

ولمَّا أحس عبد اللّه بدنو أجله جمع أشياخ صنهاجة وأوصاهم قائلًا: "يا معشر المرابطين أنا مَيِّتٌ في يومي هذا وأنتم في بلاد أعدائكم، فإياكم أن تخنثوا، وتفشلوا، وتذهب ريحكم، كونوا ألفة على الحق وإخوانًا في اللّه، وإياكم والمخالفة، والتَّحاسد على الدنيا، وإني ذاهب عنكم، فانظروا من ترضونه لأمركم يقود جيوشكم ويغزو أعداءكم، ويُقسِّم فيكم زكاتكم وأعشاركم" (ابن الخطيب، 1964، ص230).

وقد عمل شيوخ المرابطين بوصية الفقيه ابن ياسين الذي كان حريصًا على الخير والصلاح لقومه حيث قاموا بتجديد عهده بمبايعة أبي بكر بن عمر اللَّمتوني كأمير على المرابطين.

خاتمة ونتائج الدراسة

من خلال هذا البحث توصلت للعديد من النتائج، نذكر منها:

- تمكن الفقيه عبد اللّه بن ياسين من التغلب على الصعاب والعراقيل التي واجهته خلال رحلته إلى مضارب قبائل صنهاجة الصحراء، مثل عدوان النَّاس عليه ومحاولتهم قتله، بفضل إيمانه القوي من جهة وإخلاص رفاقه له من جهة أخرى.
- كانت رحلة الفقيه عبد اللّه بن ياسين إلى مضارب قبائل صنهاجة الصحراء في البداية رحلة تعليمية بحتة؛ إذ ذهب إلى الصحراء من أجل نشر تعاليم الدِّين الإسلامي فيها على اعتبار أنَّ الصَّنهاجيِّين لا يعرفون إلَّا الشيء القليل منه، ولكن بعد إنشائه للرِّباط واجتماع أعداد كثيرة من المريدين حوله، تغير

الوضع فلم يكتف ابن ياسين بالعمل الإصلاحي بل حمل السِّلاح ومضى يغزو ويحارب مخالفيه، فأخضع جميع قبائل صنهاجة الصحراء لسلطته وفتح مدينة أودغست ببلاد السودان الغربي ونشر الإسلام بها، واستولى على العديد من المدن في المغرب الأقصى مثل درعة وسجلماسة وتارودانت وأغمات وغيرها.

- كان للرِّباط الذي أنشأه الفقيه عبد اللّه بن ياسين دورًا فعالًا في تأسيس دولة المرابطين، فقد كان هذا الرَّباط عبارة عن مكان للعبادة ولإعداد جند مخلصين ومستعدين لحمل السِّلاح في الوقت المناسب، وقد تحقَّق ذلك بعد أن تقوت شوكت ابن ياسين بكثرة أتباعه فتمكن من إخضاع مخالفيه الذين رفضوا إعلان ولاءهم له.

- تميز الفقيه عبد اللّه بن ياسين بقوة شخصيته، فقد جمع بين السلطتين الدِّينية والسِّياسيَّة، فقد كان هو الأمير الفعلي للمرابطين، وكان هو من يُعيِّن الأمير الذي يترأس المرابطين فقد عيَّن يحي بن عمر اللَّمتوني أميرًا بعد وفاة يحي بن إبراهيم الجدالي، وعيَّن أبو بكر بن عمر اللَّمتوني أميرًا على المرابطين بعد وفاة أخيه يحي بن عمر، وكان هؤلاء الأمراء يطيعون أوامره طاعةً عمياء.

- ورغم وفاته سنة 451هـ/1059م دون القضاء على شوكة قبيلة برغواطة الضالة إلَّا أنَّ ابن ياسين استطاع أن يقيم اللبنة الأولى لدولة المرابطين، فقد أعد رجال مخلصين لدعوته حملوا المشعل بعده خاصةً الأميرين أبو بكر بن عمر ويوسف بن تاشفين اللَّمتونيَّين اللَّذين قادا الدَّولة المرابطيَّة بعده، هذا الأخير الذي جعل من مدينة مراكش عاصمةً لدولته، وقد بلغت هذه الدَّولة في عهده أوج عظمتها حيث شملت حدودها الجغرافية كامل بلاد المغرب الأقصى والجزء الغربي من المغرب الأوسط وبلاد الأندلس، وأجزاء كبيرة من بلاد السودان الغربي.

التوصيات

- ضرورة الاهتمام بتاريخ الغرب الإسلامي عامةً وتاريخ دولة المرابطين على الخصوص، وتعريف دارسي التَّاريخ بالإنجازات الحضارية لهذه الدولة.

- الرد بالدليل والبرهان على مؤرخي العهد الموحِّدي الذين تحاملوا كثيرًا على دولة المرابطين وتاريخها المشرف.

- التَّعريف بمن كان له الفضل في تأسيس دولة المرابطين، وفي نشر الإسلام في بلاد السودان الغربي.

- إماطة اللثام على شخصية الفقيه عبد اللّه بن ياسين الجزولي، والحث على التأسي بمنهجه التعليمي والإصلاحي.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم- أ- المصادر التاريخيَّة: (كتب التَّاريخ العام- التراجم والسِّير)

- ابن الأثير، عز الدِّين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم الشيباني، (1982)، *الكامل في التاريخ*، (مج9)، بيروت، دار صادر.

- البخاري، أبو عبد اللّه محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، (د. ت)، *صحيح البخاري*- باب فضل رباط يوم في سبيل اللّه، (مج2، ج4)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- ابن الخطيب، لسان الدِّين أبو عبد اللّه محمَّد بن عبد اللّه بن أحمد السليماني، (1964)، *تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام*، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمَّد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، دار الكتاب.
- ابن خلدون، عبد الرَّحمان بن محمَّد، (1971)، العِبر *وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر*، (ج6)، بيروت، منشورات الأعلمي للمطبوعات.
- الذَّهبي، شمس الدِّين أبي عبد اللّه محمَّد بن أحمد بن عثمان، (1986)، سِير *أعلام النبلاء*، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمَّد نعيم العرقسوسي، (ج18، ط4)، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد اللّه، (1972)، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*، الرباط، دار المنصورة للطباعة والوراقة.
- ابن عذارى المراكشي، (1998)، البيان *المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، تحقيق ومراجعة إحسان عباس، (ج4، ط5)، بيروت، دار الثقافة.
- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، (د.ت)، *ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك*، تحقيق أحمد بكير محمود، (ج2)، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة.
- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، (2006)، *البداية والنهاية*، تحقيق محمود بن الجميل، (ج6، ط1)، الجزائر، دار الإمام مالك.
- مجهول، مؤلف أندلسي من أهل القرن الثَّامن الهجري، (1979)، الحُلل *الموشَّية في ذكر الأخبار المُرَّاكشيَّة*، تحقيق سهيل زكار، عبد القادر زمامة، (ط1)، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة.

ب- المصادر الجغرافيَّة

- البكري، أبو عُبيد اللّه بن عبد العزيز، (1992م)، *المسالك والممالك*، تحقيق أدريان فان ليوفن واندري فيري، (ج2)، تونس، الدار العربية للكتاب.

ج- المراجع باللغة العربية

- بلغيث محمَّد الأمين، (1989)، *النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس*، الجزائر، المؤسَّسة الوطنية للكتاب.
- بوعزيز يحي (2007)، *الموجز في تاريخ الجزائر- الجزائر القديمة والوسيطة*، (ج1)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- الجراري عبد اللّه، (1936)، *دروس التاريخ المغربي في ملخص الدَّولتين اللَّمتونيَّة والموحَّديَّة*، (ط1، ج2)، الرباط، المطبعة الاقتصادية.

- حسن إبراهيم حسن، (1996)، *تاريخ الإسلام السِّياسي والدِّيني والثقافي والاجتماعي العصر العباسي الثَّاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس 447هـ-656هـ/1055م-1258م*، (ج4، ط14)، بيروت، دار الجيل، القاهرة، مكتبة النَّهضة المصرية.

- حسن أحمد محمود (د.ت)، *قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى*، القاهرة، دار الفكر العربي.

- حسن علي حسن، (1980)، *الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحِّدين*، (ط1)، مصر، مكتبة الخانجي.

- سالم السيد عبد العزيز، (1981)، *المغرب الكبير العصر الإسلامي*، (ج2)، دار النَّهضة العربية، بيروت.

- السَّملالي، العباس بن إبراهيم، (2002م)، *الإعلام بمن حلَّ مرَّاكش وأغمات من الأعلام*، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، (ج8، ط2)، الرباط، المطبعة الملكية.

- شاكر محمود، (1991)، *التَّاريخ الإسلامي الدولة العباسية*، (ج1، ط5)، بيروت، المكتب الإسلامي.

- شبلي أحمد، (1969)، *التَّاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية الأندلس الإسلامية المغرب الجزائر تونس وليبيا من مطلع الإسلام إلى العهد الحاضر*، (ج4، ط3)، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

- الصلابي علي محمَّد، (2001)، *الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين*، (ط1)، الإمارات، مكتبة الصحابة، القاهرة، مكتبة التابعين.

- العبادي أحمد مختار، (د.ت)، *في التَّاريخ العباسي والأندلسي*، بيروت، دار النهضة العربية.

- عباس نصر اللّه سعدون، (1985)، *دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين*، (ط1)، بيروت، دار النهضة العربية.

- عبد المنعم محمَّد حسين حمدي، (2008)، *التَّاريخ السِّياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين*، مصر، دار المعرفة الجامعية.

- مقلد الغنيمي عبد الفتاح، (1994)، *موسوعة تاريخ المغرب العربي المغرب العربي بين الفاطميين والمرابطين والموحِّدين 296-668هـ/910- 1270م*، (مج2، ج3، ط1)، القاهرة، مكتبة مدبولي.

- ولد الحسين الناني، (2007م)، *صحراء الملثِّمين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ/11م*، تقديم محمَّد حجي، (ط1)، ليبيا، دار المدار الإسلامي.

د- المجلات العلمية

- يوفيل. و، (1978)، *العهد الذهبي لتجارة المسلمين في شمال إفريقيا وغربها*، مجلة الأصالة، (العددان 58-59)، السنة السابعة، الجزائر، تصدرها وزارة الشؤون الدينية.

هـ- المراجع باللغة الأجنبية

- Gaid Mouloud, *les Berbers dans l'histoire, les Mourabitines d'hier et les Marabouts d'aujourd'hui*, (tome$_7$), édition Mimouni.